

الملكات في الاسلام

قرأت بانحجاب المقالة البليغة التي دمجها راع حضرة صاحبة السمو السلطاني
الاميرة قدرية حسين ونشرها المقتطف في عدد يونيه الماضي
وقد لفت نظري فيها قول الاميرة عن شجرة الدر وهي اول امرأة في العالم
الاسلامي تجاسرت على تولي الملك ،

وهذا خطأ وقع فيه كثيرون حتى من اشهر المؤرخين . ولقد كنت جئت بهذه
الرسالة التي وصحتها « الملكات في الاسلام » لاطهر ان شجرة الدر ليست اول
امرأة تولت الملك في الاسلام كما انها ليست الوحيدة كما يتصور كثيرون
ومع وجود احاديث نبوية التي لا تساعد على تولي المرأة لمام الحكم
في الاسلام فالدول الاسلامية لم تخل ممن تولين الملك فيها
وها انا اذكر هنا ملخص تاريخ سبيع عشرة ملكة ملكن من مختلف الاقطار
الاسلامية وذلك عدا من لم انف عليه . وعدا ما كان لعدد عظيم من النساء
المسلحات من التأثير الكبير في اجارة حكومات كل ملوكها وسلطينها بالاسم من
الرجال بينما كان التفوذ الفعلي للنساء من وراء الحجاب

(١) السلطانه رضية بنت السلطان التمش ملكة الهند

من ٦٣٤ - ٤٣٧ هـ - من ١٢٣٦ - ١٢٣٩ م

بعدما اخضع السلطان محمود الغزنوي بلاد الهند تركها ميراثاً خلفائه من
الدولة الغزنوية . ولما دالت ايام هذه الدولة وتولاها الهرم الذي يتولى الدول
تلها الدولة الغورية في حكم بلاد الهند وافغانستان . ولم تطل ايام هذه الدولة
حتى ضعفت وقام حكام البلاد يستقل كل منهم بما في يده . هكذا فعل قطب الدين
ايبك نائب دهلي فانه اعلن استقلاله وتزوج سلطاناً على الهند في دهلي سنة
٦٠٢ هـ وهو اول ملوك الدولة المعروفة بدولة المهاييك في دهلي (Slave Kings)
ولما توفي سنة ٦٠٧ هـ تولى بعده ابنه ارام شاه ولم تطل مدته فتولى بعده اخوه
شمس الدين التمش في ذات السنة . وهذا استمر في الملك الى ان توفي في ٢٠ شعبان
٦٣٣ هـ - ١٣ ابريل ١٢٣٦ م . فتولى بعده ابنه ركن الدين فيروز شاه وهذا

كان غير اهل لتولي المملكة فاتتق الامراء والاعيان على خلعها . فخلعوه في ١٨ ربيع اول سنة ٦٣٤ هـ وولوا السلطنة مكانة اخته السلطانة رضية التي نحن بصدها فهي خامس ملوك دولة المماليك بالهند . اما السلطانة رضية هذه فقد قال عنها المؤرخ الهندي الشهير محمد قاسم فهرشته (١) « انها كانت تملك كل الصفات التي تؤهلها لتولي الملك وادارة شؤون المملكة . وكل الذين بحثوا بتدقيق عن تاريخ هذه الملكة العجيبة اجمعوا على انه لم يكن لها عيب سوى كونها امرأة »

وكان والدها اذا تغيب في حروبه ينيبها عنه في ادارة دفة الحكومة مفضلاً ايها على ابنائها الذكور (٢) ولما سأل امرأه لماذا اختار ابنته بدل احد ابنائها في نيابة المملكة اجاب « ان اولاده اهنكوا في الشرب واللعب فادارة المملكة صعبة عليهم . اما رضية بيك (٣) فع انها امرأة ولكن لها عقل وقاب رجل » . ولقد صدق والدها في هذا الوصف فانها حالما تبوأ عرش المملكة اظهرت من حسن الادارة ما يؤيد هذا الوصف عنها . فانها خلعت الملابس النسائية ولبست الحلة الملكية وكانت تباشر اعمال المملكة بنفسها . وتنتظر في القضايا المعروضة عليها وتفضل فيها بالعدل والقسطاس . وكثيراً ما قادت جيوشها بنفسها

فاكبت الفيرة قلب اخيها بهرام شاه (٤) ودبر لها المكاييد سرراً واتفق مع كثيرين من اعيان البلاد وحكامها على خلعها فوافقوا على ذلك كل من الوزير نظام الملك جنيدي . وملك علاء الدين خاني وملك سيف الدين كوشي وملك عز الدين سلار وملك خير خان . وهؤلاء وحدوا قواهم في لاهور وتقدموا بجيوشهم الى دهلي لاعام غرضهم . فلما سمع ملك نصير حاكم اود (Oudh) بذلك جمع جيوشه وتقدم لمقابلتهم وللمدافعة عن مملكته . ولكنه حالما عبر نهر الكنج لاقته جنود المتآمرين وهزمته واخذته اسيراً فأت بد ذلك بقليل

وكانت السلطانة رضية في هذه الاثناء تشتغل بمهارة في استمالة قلوب بعض الامراء المتآمرين عليها وفي زرع الشقاق بينهم فنجحت في ذلك نجاحاً تاماً وتمكنت

(1) Ferishta's History of India 1:217

(2) Elphinstone's History of India: 367

(٣) لفظة بيك لفظة فارسية معناها اميرة

(4) Biographie Universelle, Michaut; 35:277

من تفرقت شمل المتآمرين عليها فرجع كل منهم الى البلاد التي هو حاكم فيها .
وانتهزت جنود الملكة هذه الفرصة فتعقبت جنود المتآمرين وشتتت شملهم
ومثلت بقوادم قتلاً واسراً وتشريداً

وبعد ذلك التفتت الملكة الى تحمين حالة البلاد في ظل السلام فنجحت في
ذلك نجاحاً عجيماً . ولكن لم تطل مدتها بعد ذلك حتى حدثت حادثة كانت السبب
في الهياج ضدها ثم خلعها . وذلك انه كان لها عبد حبشي اسمه جمال الدين ياقوت
رقته بسرعة من رتبة ميرآخور الى رتبة امير الامراء فاعتناظ الامراء لذلك
وتقولوا فيه كثيراً . وابتدأوا يتجسسون لمعرفة السر في هذه الترقية السريعة
حتى تحققوا ان الملكة تتألم كثيراً بياقوت ومنعت عنه التكليف فاذا ارادت
ان تركب جوادها تقدم ياقوت ورفعها من تحت البها . فذاعت هذه الاخبار
حتى اتهموها به (١) وابتدأوا يجاهرون بضرورة خلعها . فكان ملك الطونيا
حاكم بهندا اول من اعلن الثورة ضدها لهذا السبب سنة ٦٣٧ هـ وكان المذكور
من اصل تركي . فقاد جيشها لمقاتلته ولكن كذب بين جيوشها عدد
عظيم من الجنود والقواد الاتراك فتآمروا معاً ضدها وامتنعوا عن مقاتلة
مواطنيهم . فناروا ضدها في منتصف الطريق وقبضوا عليها وسلموها الى عدوها
ملك الطونيا ليسجنها في حصن بهندا . وطأوا الى دهلي حيث نادوا باخيها بهرام
شاه سلطاناً على الهند مكانها

ولكن السلطنة رضية عمكنت وهي في سجنها من استمالة عدوها ملك الطونيا
حاكم بهندا وزوجت به وتمكنت من جمع جيش كبير سارت به الى دهلي لاسترداد
ملكها . ولكنها لم تفلح في ذلك وانهمت في ٤ ربيع اول ٦٣٧ هـ ٤ أكتوبر
١٢٣٩ م وقتلت هي وزوجها باهر اخيها بهرام شاه في ٢٥ ربيع اول من تلك
السنة بعد ما ملكت ثلاث سنين قرية وستة اشهر وستة ايام
فهي اول ملكة تولت الملك في العالم الاسلامي (٢)

(١) رجة ابن بطوطة ٢ : ٢٢

(٢) Elliot's History of India 8 vols; Imperial Gazetteer of India 14 vols;
Historian's History of the World 25 vols.; Lane-Poole's Medieval India.

(٢) شجرة الدر ملكة مصر

٦٤٨ - ١٢٥٠ م

اما شجرة الدر فكلنا يعرف تاريخها وحكايتها ولكن حتى تكون هذه الرسالة كاملة نقل هنا ما قاله عنها ابن اياس في كتابه تاريخ مصر ١ : ٨٩ قال :

« شجرة الدر زوج الملك الصالح نجم الدين ابوب وام ولدع خليل هي تاسع من تولى السلطنة من جماعة بني ايوب وقع الاتفاق على سلطنتها فتملطنت من ثاني صفر ٦٤٨ هـ وقبيل لها الامراء الارض من وراء حجاب . فلما تم امرها في السلطنة فرقت الوظائف السبية على الامراء وفرقت الاقطاعات النقال على الممالك البحرية واغدقت عليهم بالاموال والخيول وارضهم بكل ما يمكن . وحاست الرعية في ايامها احسن سياسة وكانت الناس عنها راضية . وكان الامير عز الدين ايبك التركي مدير المملكة وكان لا يتصرف في الامور الا بعد مشاورتها فيما تريد . وكانت تكتب على المراسيم في العلامة بخطها « والدة خليل » . فلما كان يوم الجمعة خطب باسم شجرة الدر على منابر مصر فكانت الخطباء تقول بعد الدعاء للخليفة « واحفظ اللهم الجهة الصالحة بملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب الجليل والستر الجليل والدة المرحوم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين ابوب » قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم الجزري « فلما بلغ الخليفة المستنصر بالله ابا جعفر وهو في بغداد ان اهل مصر قد سلطنوا امرأة ارسل يقول لامراء مصر اعلمونا ان كان ما بيني عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل لكم من يصلح لها . اما سمعتم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا افلح قوم ولوا امرهم امرأة » واتكر عليهم فاية الانتكار وهددم واهرم بالرجوع عن ذلك فلما بلغ شجرة الدر ذلك خلعت نفسها من السلطنة برضاها من غير كره لها فكانت مدة سلطنتها بالديار المصرية نحو ثلاثة اشهر الاياما . وكانت تدير امور المملكة بالديار المصرية في حياة استاذها الملك الصالح . وكانت ذات عقل وحزم ومعرفة تامة باحوال المملكة فليظنوها لحسن تديرها للامور وسياستها الرعية وجعلوا الامير عز الدين ايبك التركي اتابك العساكر ومشاركاً لها في احوال السلطنة فكان لا يتصرف في شيء من الامور الا برأيها .

فلما خلمت نفسها من السلطنة أشار القضاة والأمراء بأن يرلوا الأمير عز الدين أيبك التترجاني السلطنة وأن يتزوج شجرة الدر فتزوج بها ثم تولى السلطنة بمساعدة خلع شجرة الدر فكان أول من تولى من ملوك الترك .

(٣) قطلع خاتون ملكة كرمان (١)

من ٦٥٥ - ٦٨١ هـ - من ١٢٥٢ - ١٢٨٢ م

لما ضعفت الدولة السلجوقية بإيران قام حكام الجهات وشقوا عصا الطاعة واستقل كل منهم بما في يده فكان بين دول الطوائف هذه الدولة القطلفية اتابكة كرمان والدولة السقيرية اتابكة فارس وatabike لورستان الخ فتطلع خاتون هذه هي رابعة ملوك الدولة التتلقية من كرمان تولى الملك سنة ٦٥٥ هـ وبقيت الى ان خلمها السلطان جلال الدين سيورغتمش سنة ٦٨١ هـ وتولى الملك بدلاً عنها والمعروف عنها قليل ولكن ملول مدة حكمها دليل على حسن سياستها ومداراتها للامور

(٤) عابش بنت سعد ملكة فارس (٢)

من ٦٦٢ - ٦٨٦ هـ - من ١٢٦٤ - ١٢٨٢ م

هي تاسع ملوك الدولة السقيرية اتابكة فارس . والسبب في توليتها انه لما اظار التتر على ايران واخضعوها لسلطانهم خضعت لهم فارس فيها خضع فأبقوا امرأها عليها حتى كانت ايام سلجوق شاه تامن ملوك الدولة السقيرية هذه فانه شق عصا الطاعة وقار ضد التتر . فجمع هولأكو جنوده وافتتح شيراز عاصته قوة واقتداراً . ولكي يرضي الاهالي بحث عن احد من العائلة السقيرية لكي يوليه الملك في شيراز فلم يجد احداً سوى هذه الاميرة عابش بنت سعد . ولما علم بما هي عليه من القطة وحسن السياسة ولاها السلطنة وازوجها بابنه مانجور تيمور (٣) ولكن قام ضدها القاضي شريف الدين قاضي قضاة فارس وهو من الاشراف وادعى المهديّة ومارض في تولية امرأة للملك فاجتمع حوله جمع كثير حتى تمكن

(1) Lane-Poole's Mohamedan Dynasties 179

(2) Howorth's History of the Mongols 3:203

(3) Encyclopedia of Islam 1:70

من مهاجمة شيراز قتالته الاميرة طابش بمجنودها وعن تحت امرتها من الجنود التتارية فاتصرت عليه وقتلته . وبقيت ملكة على فارس الى ان توفيت سنة ٦٨٦ هـ وفي ايامها اتقضت الدولة السطرية وصارت فارس تابعة للغول . وكانت على جانب عظيم من الفطنة وحسن السياسة فرمت فارس في ايامها في هناء وسرور

(٥) صفوة الدين باديشاه بنت قطب الدين ملكة كرمان (1)

من ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ - من ١٢٩٤ - ١٢٩٥ م

لما توفي السلطان سيورغتمش بن قطب الدين سارس ملوك الدولة التتلفية في كرمان سنة ٦٩٣ هـ تولى الملك بدمه اخته صفوة الدين باديشاه خاتون ثم خلفت وخلفها جلال الدين محمد شاه وما اعرفه عنها قليل

(٦) الاميرة كوردجين بنت مانجو تيمور ملكة فارس (2)

من ٧١٦ - ٧٢٢ هـ - من ١٣١٦ - ١٣٢٧ م

هذه الملكة هي ابنة الامير مانجو تيمور بن هولأكو من زوجته الملكة طابش بنت سعد المتقدم ذكرها وكانت قد تزوجت بالسلطان سيورغتمش سلطان كرمان فولدت منه الاميرة قطب الدين شاه جهان الذي ملك في كرمان وابنته اسمها عصمة الدين طالم شاه وهذه تزوجت ابلكان بايدو

ومن اوائل حكم السلطان ابي سعيد بن محمد خدابنده نودي بالاميرة كوردجين هذه ملكة على بلاد فارس واذ السر السلطان ابو سعيد منها خصوصاً لانها كانت ترسل اليه بالهدايا من وقت لآخر منحها لقب «طرخان» وبموجب هذا اللقب افضيت من دفع الجزية وفي الوقت نفسه منحت الحق في ضرب النقود باسمها

وكانت مفرمة بالعمارات حتى اصبحت مدينة شيراز في ايامها في غاية النظام والابداع وصارت ماجاً لكل قاصد من العلماء والادباء . والمؤرخ وصاف ينسب اليها عدة ابناء في غاية الاهمية كالمدراس والاسبائيات والجوامع والروايا والتكيا وغيرها . منها المدرسة الازدية التي وقت لها عيناً لا يقل رتبة عن مائتي الف دينار . والمدرسة التي دعيت باسمها (مدرسة كوردجين) وفي وصف

(1) Howarth's History of the Mongols 3:687

(2) Lane-Peel's Mohamadan Dynasties : 179.

هذه المدرسة انشأ وصاف المؤرخ قصائد شعرية مشهورة . وكان في هذه المدرسة جينة متمعة وحمام وكان بها فقية للماء عبر عنها وصاف المذكور بأنها احد انهار الجنة الاربعه . وكان يصرف للطلبة والمشايع في هذه المدرسة ما يكفيهم وكانت الملكة تمنحهم علاوة على ذلك صدقات كثيرة من وقت لآخر . وغالى وصاف في وصف هذه الملكة حتى قال عنها ان اشهر نساء الاسلام مثل السيدات خديجه وفاطمة ومائشة لا يمكن لمن ان يدعيهن انهن من اندادها . وتاريخ وفاة هذه الاميرة غير معروف وآخر ما ورد عنها من الاخبار كان سنة ١٣٢٧ حينما طلب ملك هرات ان يتزوجها

(٧) ساقى بيك بنت محمد خدا بندا ملكة اذربيجان والعراق (١)

من ٧٣٩ - ٧٤١ هـ - من ١٣٣٨ - ١٣٤٠ م

لما اتمرت عقد الدولة المغولية من بني هولاءكو بيران قام امراء الطوائف وحكام البلدان واستقل كل منهم بما في يده . ولكن كان الاهالي يرفضون الخضوع لمولاء الامراء ويطلبون عليك بعض بني هولاءكو . فكان هولاء الامراء يبحثون عن بني من نسل هولاءكو ليولئهم الملك بالامم ارضاء للاهالي فيما يكون الحكم التعلني لهم . وهكذا فعل الامير حسن الصغير الجوباتي في تبريز والشيخ حسن الكبير الجلياري من العراق وغيرهم . فلما استولى الامير حسن الصغير على تبريز ورفض اهله ان يسلطوا احداً من غير النسل الملكي المغولي واقبهم على ذلك واجلس على كرسي السلطنة ساقى بيك بنت السلطان محمد خدا بندا واخت السلطان ابي سعيد ونادى بها ملكة في سنة ٧٣٩ هـ وذكر اسمها في الخطبة وضربت السكة باسمها

وكان الجفاء مستحكما بين الامير حسن الصغير وبين الشيخ حسن الكبير فجمع الامير حسن الصغير جيشه وقاده ومعها الملكة ساقى بيك الى سلطانية لحرارة الشيخ حسن الكبير . ولكن قبل مباشرة القتال دارت المفاوضات بينهما لحتى دماء العباد فقبل الشيخ حسن الكبير ان يعترف بالملكة ساقى بيك سلطانية واصطلح الحسان على ذلك وكان خضوع الشيخ حسن الكبير وقبوله ظاهرياً فقط فانه طالما ماد الى بغداد ارسل يدعو الامير طرغاس تيمور خان (من نسل

هولاكو وكان قد تسلطن بخراسان) ليولية سلطنة العراق ايضاً فقبل الامير طوغاس
واسرع الى بغداد . وحالما وصل اليها كاتب الامير حسن الصغير لكي يعترف به
سلطاناً بدل الملكة ساقى بيكم لانها امرأة . ودارت المكاتبه بينها بهذا الخصوص
فاشترط الامير حسن على طوغاس تيمور خان ان يجعله نائباً عنه في الملك وانه
يقتل الشيخ حسن الكبير وباقي الامراء الجليارية . وبسطة الامير طوغاس قبل
ذلك وكتب به عهداً وقعه بخطه وارسله الى الامير حسن الصغير . فلما وقع هذا
العهد بين الامير حسن الصغير اخذه وذهب به تورا الى معسكر الشيخ حسن الكبير
وقال له : انك استحضرت الامير طوغاس تيمور خان من خراسان لتولية السلطنة
فهل حفظك هذا الجليل ، وسله العهد الموقع عليه من الامير طوغاس يجعل
الامير حسن الصغير نائب السلطنة ويقتل الشيخ حسن الكبير وحاشيته . ثم قال ايضاً
: اني وان كنت عدواً لك ولكني لا استعمل معك الغدر ابداً .

وبهذه الحيلة تمكن الامير حسن الصغير من افساد مشروع الشيخ حسن
الكبير . واضاع الامير طوغاس تيمور خان بمجهله فرصة عظيمة سنحت له
الجلوس على كرسي سلطنة العراق

وبعد ذلك عاد الشيخ حسن الكبير فاعترف بالملكة ساقى بيكم وقبل يديها
واستسجعا مما صدر منه . ورأى من مصلحته ان يتقرب اليها حتى اوجس الامير
حسن الصغير خوفاً من طاعة هذا التقرب

فترك المعسكر وحاد الى تبريز واوضح لاهابها عدم لياقة بقاء امرأة في السلطنة
مع وجود كثيرين من الرجال من النسل الملوكي المنفولي لخاتمة ذلك للدين والعرف
وقادى بخلع الملكة ساقى بيكم واجلس بدله في كرسي السلطنة السلطان سليمان خان
من نسل هولاكو

فلما رأى الشيخ حسن الكبير ما فعله الامير حسن الصغير بتبريز اقام هو
المدعو شاه جهان تيمور من النسل الملوكي سلطاناً على العراق . وهكذا انتهت
سلطنة هذه الاميرة

وبالتحفة البريطانية تقود مسكوكة باسم السلطنة ساقى بيكم عليها تواريخ

رزيق الله منقربوس الصديقي

من ٧٣٩ - ٧٤١ هـ

مؤلف تاريخ دول الاسلام

(ستأتي البقية)